الأردن يوثق بالفيديو: مخدرات تُهرب من سوريا تحت حماية نظام الأسد

ترجمة وتحرير: نون بوست

يدور صراع آخر في الشرق الأوسط على الحدود بين سوريا والأردن: الحرب ضد الكبتاغون، وهو مخدر شبيه بالأمفيتامين، انتشر في جميع أنحاء المنطقة.

هذا المخدر عابر للطبقات الاجتماعية والحدود؛ حيث يتعاطاه سائقو التاكسي الذين يعملون في نوبات ليلية، ومقاتلو المليشيات الذين يبحثون عن شحنة من الحماس، والطلاب قبل خوض الاختبارات، وكبار المسؤولين التنفيذيين خلال العمل أو في أوقات الراحة.

كل ذلك أدى إلى تجارة تقدر بمليارات الدولارات، مما يؤجج النزاعات في المنطقة؛ حيث أنعشت أموال تهريب المخدرات خزائن الميليشيات المدعومة من إيران، بما في ذلك حزب الله، الذي أنفق كميات ضخمة من عائداته على الأسلحة لمواجهة إسرائيل. ويعزز الكبتاغون نفوذ الرئيس السوري بشار الأسد، الذي أصبح نظامه واحدًا من أكبر شبكات المخدرات في العالم، مما يساعده على التخفيف من آثار سنوات من العقوبات الاقتصادية الغربية القاسية. وقد نفى النظام في سوريا أي تورط في تجارة المخدرات.

يشعر المسؤولون الأمريكيون بقلق متزايد من أن تجارة الكبتاغون تقوض عقودًا من الاستقرار النسبي في الأردن والسعودية، الحليفين المهمين للولايات المتحدة. ونشر الأردن نحو ثلث جيشه للمساعدة في الحد من تدفق المخدرات عبر حدوده مع سوريا، وكذلك الأسلحة التي تتاجر بها الشبكات نفسها، بحسب مسؤول أمني أردني رفيع المستوى.

ويقول المسؤولون والباحثون إن معظم الإنتاج يتم في سوريا، وجزء منه في لبنان. ويقوم المهربون بنقل المخدرات من سوريا عبر المعبر الرسمي إلى الأردن عن طريق إخفائها في شاحنات، أو عن طريق استئجار النساء والأطفال لتمرير الحبوب في ملابسهم أو أحذيتهم. أما في الصحراء، فيستخدم المهربون المنجنيق لإلقاء المخدرات من فوق الجدران الحدودية، أو الطائرات المسيرة، أو يذهبون ببساطة سيرًا

على الأقدام، خاصةً في فصل الشتاء عندما يقلل الضباب والغبار من الرؤية ليلاً إلى حوالي متر واحد.

مقاتلون تابعون لإحدى الجماعات المتمردة السورية يعرضون المخدرات التي تم ضبطها عند نقطة تفتيش تحت سيطرتهم في نيسان/ أبريل 2022. وقد تم الاستيلاء على كبتاغون ومواد أخرى في مارع، سوريا، في أيار/ مايو 2022.

يقدّر معهد "نيو لاينز"، وهو مركز أبحاث في واشنطن، أن قيمة سوق الكبتاغون العالمية تبلغ حوالي 5.7 مليار دولار، أي أكثر من نصف قيمة سوق الكوكايين في أوروبا. حقق نظام الأسد متوسط عائد سنويًا يبلغ حوالي 2.4 مليار دولار بين 2020 و2022، أي ما يقارب ربع الناتج المحلي الإجمالي لسوريا، وفقًا لمرصد الشبكات السياسية والاقتصادية، وهي منظمة بحثية سورية تتعقب تجارة الكبتاغون.

وفي منتصف تشرين الأول/ أكتوبر، فرضت وزارة الخزانة الأمريكية عقوبات على ثلاثة أشخاص قالت إنهم متورطون في إنتاج الكبتاغون والاتجار به بشكل غير قانوني لصالح نظام الأسد وحزب الله. أحدهم مالك مصنع في سوريا، ذكرت الوزارة أنه يعمل كواجهة، حيث أرسل حبوبًا بقيمة تزيد عن 1.5 مليار دولار إلى أوروبا مخبأة في لفافات ورق صناعية. وأصبحت أوروبا مركزًا رئيسيًا لإعادة شحن الكبتاغون المتجه إلى شبه الجزيرة العربية، وفقًا لوكالات مكافحة تهريب المخدرات.

ومنذ أن شنت إسرائيل حربها على غزة، ازداد عدد عمليات ضبط الكبتاغون على الحدود الأردنية السورية أربعة أضعاف، وغالبًا ما تكون مصحوبة بشحنات أسلحة غير مشروعة، وفقًا لمعهد "نيو لاينز". ويعبّر المسؤولون الأمريكيون عن قلقهم من أن يؤدي تهريب المخدرات إلى زيادة تهريب الأسلحة الإيرانية إلى الفصائل الفلسطينية في الضفة الغربية.

وفي ما يبدو أنه أحد أكثر الحوادث دموية في الحرب ضد المخدرات حتى الآن، دمر انفجاران في كانون الثاني/ يناير الماضي منزلاً في قرية عرمان الصغيرة، وهي بلدة صحراوية سورية تبعد حوالي 15 ميلاً شمال الحدود الأردنية؛ حيث قتل عشرة أشخاص، بينهم خمس نساء وطفلان.

حمّلت سوريا المسؤولية عن الانفجار لغارات جوية أردنية، وهو عمل عسكري نادر للأردن على أراضي دول أخرى. يُشتبه في أن الأردن نفذ على الأقل أربع هجمات أخرى في جنوب سوريا. ورغم أن الأردن لم يعلق على الغارات الجوية، إلا أنه أشار في بيان بعد الهجوم الذي وقع في كانون الثاني/ يناير إلى أنه سيواصل مواجهة المخاطر الناجمة عن مهربي المخدرات والأسلحة.

وقالت كارولين روز، الخبيرة في تجارة الكبتاغون في معهد "نيو لاينز": "إن النظام السوري يمثل نموذجا للدول التي تعاني من العقوبات وتسعى إلى جني الأرباح، أرباح جيدة جدًا".

أصول الكبتاغون

قال أوسكار داغنون، المدير الطبي لعيادة "أو إيه دي" في لندن، التي تعالج من بين مرضاها مدمني المخدرات من الشرق الأوسط: "كانت الأمفيتامينات تاريخيًا المخدر المفضل في الخليج، ويرجع ذلك جزئيًا إلى ندرة معظم المخدرات المنتشرة في الغرب"، وأضاف: "الكبتاغون هو بمثابة الكوكايين بالنسبة لهم".

الكبتاغون هو الاسم التجاري لعقار تم تصنيعه في ألمانيا في الستينيات من القرن الماضي لعلاج النوم القهري والاكتئاب واضطراب نقص الانتباه، ثم تم حظره في معظم الدول في عام 1986. نقلت منظمات إجرامية بلغارية إنتاج الكبتاغون إلى سهل البقاع اللبناني، معقل حزب الله، في تسعينيات القرن الماضي.

وساعدت الحرب الأهلية السورية منذ 2011، مقترنة بانهيار النظام السياسي والاقتصادي في لبنان، على نمو تجارة الكبتاغون عبر الحدود والمساحات غير الخاضعة للسلطات وصولا إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط وممرات الشحن الدولية.

ومع فرض نظام الأسد قبضته على البلاد مجددا، استولى على منشآت إنتاج المخدرات، وكثف إنتاجها على مدى العقد الماضي، في ظل الحرب الأهلية والعقوبات الدولية.

وفي أحد مقاطع الفيديو من منشأة إنتاج سورية، نشرته "المنظمة السورية للطوارئ" مع صحيفة "وول ستريت جورنال"، تظهر عدة آلات تقوم بإنتاج مئات من الحبوب ذات اللون الرملي من فتحات معدنية إلى سلال بلاستيكية. كما يظهر فيديو آخر أكياس من حبوب الكبتاغون في أكوام، تحمل شعار شركة "لكزس" لصناعة السيارات الفاخرة، والتي تستخدم عادةً للإشارة إلى الكبتاغون عالي الجودة.

تُظهر مقاطع فيديو حصلت عليها "المنظمة السورية للطوارئ" مهربين برفقة عناصر يرتدون الزي العسكري، مع أكياس كبتاغون.

المكوّن الرئيسي للكبتاغون هو السودوإيفيدرين، الذي يوجد عادةً في أدوية البرد والإنفلونزا. ووفقًا للأمم المتحدة، أبلغت سوريا في عام 2020 بأنها تتوقع استيراد 110,000 رطل من السودوإيفيدرين، هو ما يزيد عن الكمية التي تستوردها المملكة المتحدة، وما يقرب من نصف الكمية المبلّغ عنها من سويسرا التي تعد مركزًا عالميًا لصناعة الأدوية. لم تشرح سوريا، التي شهدت انهيار قطاعها الصحي وقطاع صناعة الأدوية بعد عقد من الحرب، سبب احتياجها لهذه الكميات الكبيرة.

وقال مسؤولون أمريكيون وأوروبيون وعرب إن الفرقة الرابعة المدرعة في سوريا، التي يقودها ماهر الأسد، شقيق الرئيس بشار الأسد، تشرف على معظم إنتاج الكبتاغون وتوزيعه. استهدفت العقوبات الأخيرة التي فرضتها وزارة الخزانة الأمريكية رجلًا قالت إنه متورط في الاتجار بالمخدرات، وقد باع أسلحة للفرقة الرابعة المدرعة وتبرع بأكثر من مليون دولار لحزب الله.

يقول العقيد فريد القاسم، وهو منشق سوري قاتل في الحرب الأهلية ضد الأسد ويعمل الآن مع القوات

الأمريكية المتمركزة في شرق سوريا: "لا يزال النظام يعتمد بشكل كامل على الكبتاغون. لا يمكنهم الاستمرار في العمل دون هذه المخدرات".

إطلاق النار بقصد القتل

ينقل المهربون أنواعًا أخرى من المخدرات عبر سوريا، لا سيما الميثامفيتامين، ويقدر مسؤول أمني أردني أن قيمة المخدرات التي تعبر الحدود من سوريا تتراوح بين 8 و10 مليارات دولار كل سنة، وينقلها سوريون فقراء يتقاضون ما يصل إلى 10 آلاف دولار في كل عملية تهريب. وأشار المسؤول إلى أن حزب الله يساعد النظام السوري في تسهيل عمليات التهريب في المناطق الخاضعة لسيطرته، ويقوم بتأمين منازل لتجار المخدرات في جنوب سوريا.

وقد تحولت الاشتباكات مع المسلحين المتسللين عبر الحدود إلى مواجهات عنيفة لدرجة أن الجنود الأردنيين اعتمدوا سياسة إطلاق النار بقصد القتل.

وأطلع عملاء المخابرات الأردنية صحيفة "وول ستريت جورنال" على مقاطع مراقبة غير واضحة لثلاثة أشخاص داخل قاعدة عسكرية تابعة للنظام السوري وهم يطلقون طائرة مسيرة يعتقد المسؤولون أنها تحمل مخدرات باتجاه الحدود الأردنية.

وفي مقطع فيديو آخر التقطته كاميرات المراقبة، ظهر أطفال يسيرون بقطيع من الحمير ليًلا لإلقاء المخدرات على جانب نهر اليرموك الفاصل بين البلدين لاستلامها لاحقًا. وفي مقطع فيديو ثالث، ظهرت مجموعة ممن يُعتقد أنهم مهربون، وهم يحملون حقائب ظهر ويسيرون أمام موقع للجيش السوري دون أي تدخل من الجنود الذين يقفون على مرمى حجر.

وأظهرت مقاطع فيديو قدمتها قوات سوريا الديمقراطية ما قال النشطاء إنها طائرة مسيرة تحمل مخدرات من جنوب سوريا باتجاه الحدود الأردنية، ومهربين يحملون أكياس الكبتاغون على ظهورهم، يرافقهم رجال يرتدون الزي العسكري، يُفترض أنهم جنود تابعون للنظام السوري.

ويستخدم المهربون أحيانا الحمام الزاجل، والذي تم تدريبه على حمل ما يصل إلى 2 أونصة ونصف من الميثامفيتامين، وعرض عملاء المخابرات الأردنية على "وول ستريت جورنال" صورًا لطائر تم القبض عليه وهو في طريقه من سوريا إلى الأردن مع كيس صغير من المسحوق الأبيض مربوط خلف ساقيه.

حمامة قبض عليها في قاعدة للجيش الأردني وكانت المخدرات مربوطة بساقيها.

تم الحصول على الفيديو من أحد المهربين يظهر طائرة مسيرة تحمل مخدرات من سوريا باتجاه الحدود الأردنية.

مخاوف واشنطن

في كانون الأول/ ديسمبر 2022، وقّع الرئيس جو بايدن على قانون يُلزم الولايات المتحدة بوضع استراتيجية لتعطيل شبكات تهريب الكبتاغون وبناء شراكات لإنفاذ القانون في الشرق الأوسط، وأقر مجلس النواب الأمريكي في نيسان/ أبريل مشروع قانون من الحزبين الجمهوري والديمقراطي ينص على فرض عقوبات جديدة على مصنعي الكبتاغون والمتاجرين به.

لم تنشر الولايات المتحدة قوات لمساعدة الأردنيين في مكافحة الكبتاغون، لكنها تزود الأردن بقنابل موجهة بالأقمار الصناعية، أشارت منظمة هيومن رايتس ووتش إلى أنها تُستخدم لاستهداف تجار المخدرات المفترضين على الأراضي السورية. كما تقدم الولايات المتحدة المشورة لقوات الأمن الأردنية حول كيفية استخدام أجهزة استشعار المراقبة الجوية والطائرات المسيرة واعتراض الاتصالات، حسبما قال مسؤولون أمريكيون.

ورغم معارضة الولايات المتحدة، قامت الأردن إلى جانب المملكة العربية السعودية والعراق ودول عربية أخرى بتطبيع العلاقات مع الحكومة السورية العام الماضي، مقابل تعهّد الأسد باتخاذ إجراءات صارمة ضد ترويج الكبتاغون.

في البداية، بدت الصفقة ناجحة. ففي أيار/ مايو 2023، أعيد قبول سوريا في جامعة الدول العربية بعد 12 عاما من الاستبعاد. وفي اليوم التالي، أدت غارة جوية يُعتقد أنها أردنية، إلى مقتل مرعي الرمثان، وهو زعيم عصابة معروف في جنوب سوريا، مع زوجته وأطفاله الستة. وأعلنت الأردن بعد ساعات أنها شكّلت قوة أمنية مشتركة مع سوريا لمكافحة تهريب المخدرات، وقالت وسائل الإعلام الرسمية السورية إن قوات الأمن ضبطت مليون حبة كبتاغون. وبحلول نهاية الشهر، حظي الأسد باستقبال حافل في القمة العربية في جدة بالمملكة العربية السعودية.

الرئيس السوري بشار الأسد يصل إلى جدة للمشاركة في القمة العربية عام 2023.

منذ ذلك الحين، استمرت تجارة الكبتاغون بلا هوادة، وقال مسؤولون أردنيون إن تعاون سوريا في بداية الأمر كان مجرد استعراض. والتقى نائب رئيس الوزراء الأردني أيمن الصفدي مع الأسد في وقت سابق من هذا الشهر لمناقشة خطر تهريب المخدرات، وفقًا لوزارة الخارجية الأردنية.

اعتقلت إدارة مكافحة المخدرات في الأردن حوالي 35,000 شخص بتهم تتعلق بالمخدرات خلال العام الماضي، بزيادة قدرها 24 بالمئة عن العام السابق. وفي حزيران/ يونيو، أحبطت السلطات الأردنية عمليتي تهريب شملت ما يقرب من 10 ملايين حبة مخدرات، تصل قيمتها إلى 200 مليون دولار، كانت متجهة إلى المملكة العربية السعودية.

"حياة بائسة"

يشكل تدفق المخدرات أزمة مجتمعية في العالم العربي. فغالبًا ما يتم خلط الكبتاغون المنتج في سوريا بكميات غير معروفة من مواد مثل الكافيين ومختلف أدوية التخدير والمهدئات، وحتى مستويات سامة من الزنك والنيكل. وتحتوي الحبوب الموجهة إلى المملكة العربية السعودية غالبًا على الفياغرا، وعادة ما يخلط المتعاطون الكبتاغون بمخدرات أخرى أصبحت متاحة بشكل كبير في المنطقة خلال السنوات الأخيرة، مثل الميثامفيتامين والكيتامين.

وقال عبد الله بولاد، الرئيس التنفيذي ومؤسس مجموعة "ذا بالانس" للرعاية الصحية، التي تدير عيادات فاخرة لإعادة التأهيل من المخدرات في أوروبا: "على حد علمي، تضاعف استخدام الكبتاغون في السنوات الأخيرة".

موظف جمارك سعودي يفتح رمانًا مستوردًا محشوًا بالكبتاغون عام 2021

وقال بولاد إن العديد من مرضاه من العرب الخليجيين الأثرياء يكافحون بعد عودتهم من الدراسة أو العمل في الغرب للتكيف مع البيئة الاجتماعية والقانونية الأكثر تقييدًا في بلدانهم الأصلية، وأضاف: "هذا يخلق حياة بائسة، وهنا يظهر تأثير الكبتاغون".

أقامت السلطات السعودية نقاط تفتيش في المدن للقبض على مهربي الكبتاغون ومتعاطيه، وصادرت خلال هذا الشهر 1.3 مليون حبة كبتاغون مخبأة داخل شحنة من مواد خلط الرخام بالقرب من الحدود مع الأردن، وفككت عصابة لتهريب المخدرات في الرياض تضم أكثر من عشرة موظفين حكوميين.

وحذر رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني من وجود صلات بين تهريب المخدرات وتمويل الإرهاب. وصادرت قوات الأمن العراقية هذا الشهر مليون حبة كبتاغون من شبكة مخدرات في غرب العراق.

إن نطاق انتشار الكبتاغون آخذ في الاتساع؛ فقد ضبطت موانئ في إيطاليا واليونان كميات كبيرة منه، كما داهمت السلطات الهولندية والألمانية مختبرات لتصنيعه في البلدين، وقد بدأت محكمة ألمانية في آب/ أغسطس محاكمة أربعة رجال اعتُقلوا بعد ضبط مئات الكيلوغرامات من أقراص الكبتاغون تقدر قيمتها بـ 60 مليون دولار.

وقالت كارولين روز، من معهد "نيو لاينز": "لقد أصبح من الواضح للغاية أن هذه الشبكات غير المشروعة تحاول إيجاد موطئ قدم لها في أوروبا، ومن المرجح أن يتسرب الكبتاغون إلى أوروبا وربما أيضًا إلى الأسواق الأمريكية، وهذا شيء لم أكن لأقوله قبل سنة أو سنتين".

الشرطة الإيطالية تضبط 84 مليون حبة كبتاغون عام 2020

المصدر: وول ستريت جورنال

رابط المقال: https://www.noonpost.com/261428/